سورة ق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ۝٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ۝٥ ﴾

وَالْقُرْآنِ: قسم جوابه لتبعثن.

رَجْعٌ بَعِيدٌ: رجوع إلى الحياة غير ممكن.

أَمْرٍ مَّرِيجٍ: مختلط مضطرب.

إن تاريخ الأنبياء والمرسلين يشهد بأن الأمم المعاصرة لهم قلما تستعد للإيمان بهم وتلقي دعوتهم بالقبول، ولكن الناس في العصور اللاحقة لا يلبثون أن يعترفوا لهم بالنبوة والرسالة دون إباءٍ أو عناد كثيرٍ . وسر ذلك أن النبي يبدو لمعاصريه "شخصاً مساوياً" لهم، ومن هنا قد يكون من دواعي العجب والدهشة لدى القوم أن يتحول هذا الشخص الذي كانوا يعدونه مساوياً لأنفسهم - فجأةً إلى كبير يعظهم وينصح لهم!!. وأما في الأزمان التالية، فإن النبي يكون قد اقترن باسمه تاريخ الأمجاد والبطولات، مما يجعله يتراءى لمن يأتون بعده "شخصاً متفوقاً" عليهم ؛ ولهذا السبب لا يصعب على الناس أن يعترفوا برسالة النبي في القرون المتأخرة ...، إن النبي يكون بالنسبة إلى أفراد الجيل المعاصر له شخصية خلافية (متنازعاً فيها) وبالنسبة إلى الأجيال التالية شخصية مسلماً بها ، وإذ يتعين على الجيل الأول أن يقطع رحلة شعورية لكي

يملأ الفراغ الحائل بينه وبين النبي، فإن هذا الفراغ يكون قد ملأه التاريخ نفسه في القرون المتأخرة .

والذين يشكّون في نبوّة النبي، يصير كل ما يدعو إليه في أعينهم موضع الشك والارتياب، حتى العقيدة التي تكون معروفة لديهم على وجه التقليد ، غير أن هذا الشيء لن يصلح عذراً للناس في تكذيبهم لدعوة النبي ، وسيجد المنكرون للنبي أنفسهم مضطرين إلى الإيمان به رسولاً من الله، لو أنهم تدبروا ما يتميز به كتابه من عظمة لا تدانى !.

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١ ﴾

فُرُوجٍ: فتوق وشقوق.

وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا: بسطناها للاستقرار عليها.

رَوَاسِيَ: جبالاً ثوابت تمنعها الميدان.

زَوْجٍ بَهِيجٍ: صنف حسن نضر.

عَبْدٍ مُّنِيبٍ: راجعٍ إلينا مذعن بقدرتنا.

وَحَبَّ الحَصِيدِ: حب الزرع الذي يحصد.

وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ: طوالا . أو حوامل.

لَهَا طَلْعٌ: هو ثمرها ما دام في وعائه.

نَضِيدٌ: متراكم بعضه فوق بعض.

كَذَلِكَ الخروج: من القبور أحياء عند البعث.

إن هذا الكون، بما ينطوي عليه من روح وحكمة، وما يوجد فيه من روائع الخلق والإبداع، وكونه خالياً من كل نقصٍ أو خللٍ، وتلاؤمه مع الحاجات الإنسانية تمام التلاؤم.. إلخ، ليرغم كل ذي لبٍ على التأمل والتفكير، والذي يتأمل في النظام الكوني بجدية وإمعانٍ، سيدرك الخالق عبر مخلوقاته، وسيرى انعكاس الآخرة في مشاهد الدنيا، فإن عالم الآخرة ليس سوى صورة أخرى لازمة لعالمنا الراهن!!.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾

وَأَصْحَابُ الرَّسِّ: البئر، رسوا نبيهم فيها فأهلكوا.

وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ: سكان الغيضة الكثيفة الملتفة الشجر (قوم شعيب).

وَقَوْمُ تُبَّعٍ: أبو كرب الحميري (ملك اليمن).

أَفَعَيِينَا بِالخَلْقِ: أفعجزنا عنه – كلا.

فِي لَبْسٍ: خلط وشبهة وشك.

لقد حدث مرةً بعد أخرى، حسب التصوير القرآني للتاريخ، أن تعرضت الأمم والشعوب للهلاك والدمار لقاء إنكارها للأنبياء والمرسلين، وقد أشير هنا إلى بعض تلك الشعوب المهلكة على سبيل المثال دون الحصر، وإن إهلاك الأمم إنما هو في الأصل

جزء من الآخرة، حيث يتم من خلاله إظهار حظ يسير من العذاب الذي سوف يلقاه منكرو الحق هناك في حياتهم الراهنة ذاتها ليكون عبرة لمن يعتبر! إن عملية الخلق الأولى لهذا العالم تبرهن على إمكان الخلق الثاني، ولو كان المرء جاداً حق الجدية لم يعد بحاجة ما إلى دليل آخر بعد ذلك حتى يؤمن بالآخرة !!

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾

حَبْلِ الوَرِيدِ: عرق كبير في العنق.

يَتَلَقَّى المُتَلَقِّيَانِ: يحفظ ويكتب الملكان.

قَعِيدٌ: ملك قاعد.

رَقِيبٌ عَتِيدٌ: ملك حافظ لأقواله معد حاضر.

لقد أثبتت الدراسات العلمية أن هناك نظام "تسجيل" متناهياً في الدقة والإحكام، يوجد في هذا الكون، فتفكير الإنسان يرتسم على شاشته الذهنية بصفةٍ دائمة، وكل ما ينطق به الإنسان من الكلمات يبقى بشكل موجات هوائية في "الأثير" إلى الأبد، وجميع أعمال الإنسان، القلبية منها واللسانية والعضوية، كلها تسجل عبر الموجات الحرارية بحيث يمكن إعادتها في أي وقتٍ، وكل ذلك من الحقائق المعروفة لدى إنسان اليوم، وهذه الحقائق المعروفة تقرب إلى أفهامنا خبر القرآن هذا بأن نية الإنسان وكلامه وعمله يحيط بها الخالق علماً، لا يخفى عليه شيء من ذلك صغيراً كان أو كبيراً، وأن كل ما يقترفه الإنسان يتم تسجيله على الفور في سجل الملائكة بدقة فائقةٍ !

obeikandl.com

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾

سَكْرَةُ الْمَوْتِ: شدته وغمرته الذاهبة بالعقل.

تَحِيدُ: تميل عنه وتفر منه وتهرب.

غِطَاءَكَ: حجاب غفلتك عن الآخرة.

حَدِيدٌ: نافذ قوي.

عَتِيدٌ: معد حاضر مهيأ للعرض.

عَنِيدٍ: شديد العناد والمجافاة للحق.

مُرِيبٍ: شاك في الله وفي دينه.

مَا أَطْغَيْتُهُ: ما قهرته على الطغيان والغواية.

في هذه الآيات تصوير لغمرة الموت، يتبعه عرض لبعض مشاهد القيامة وأهوالها ، ومن خلال ذلك يتضح لنا ماذا سيجري هناك على أولئك الذين كانوا قد طغوا وبغوا في عالم الامتحان الراهن لكونهم يتمتعون فيه بالاختيار وحرية التصرف ، وإن هذا التصوير فظيع رهيب لدرجة أنه يكفي ليقض مضجع الإنسان الحي ويملأ قلبه بالقلق

والتوجس والاضطراب !!

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ: قربت وأدنيت.

أَوَّابٍ: رجاع إلى الله بالتوبة.

حَفِيظٍ: لما استودعه الله من خلقه.

بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ: مخلص مقبل على طاعة الله.

مَنْ الذين يستحقون جنان الله الأبدية ؟، إنهم أناس ظلوا طيلة حياتهم الدنيا خائفين وجلين من عذاب الله ، والذين قد استشعروا الخوف قبل رؤية العذاب، أولئك وحدهم سيكونون آمنين من كل أنواع الخوف والحزن يوم يصبح الخوف ماثلاً أمام الناس يرونه رأي العين . إن خشية الله تولد في نفس المرء صفات أهل الجنة، بينما يولد انعدام الخشية الإلهية صفات أهل النار!!

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾

وَكَمْ أَهْلَكْنَا: كثيراً أهلكنا.

قَرْنٍ: أمة.

بَطْشاً: قوة أو أخذاً شديداً في كل شيء .

فَنَقَّبُوا فِي البِلادِ: طوفوا في الأرض.

مَحِيصٍ: مهرب ومفر من الله.

إن الشعوب تنهض وتأخذ بأسباب الرقي والتقدم حتى تبلغ قمة المجد والازدهار، ولكنها حين تتعرض للبطش الإلهي، نتيجة سوء أعمالها، لا تكاد تجد في جنبات الأرض من مهرب أو ملجأٍ تأوي إليه !.

ووقائع التاريخ هذه تنطوي على عبر ودروس عظيمةٍ ، غير أن الاعتبار لن يوفق إليه إلا شخص يتوافر لديه استعداد للتفكير ، يمكّنه من أن يتلقى بنفسه ما تحمله الأحداث والوقائع من إيحاءات ورسائل صامتة ، أو تكون عنده حاسة للسمع واعية بحيث إذا ذُكر له شيء من ذلك وصل إلى أعماق نفسه بدون عائقٍ !

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾

إن خلق السماوات والأرض في ستة أيامٍ، أو بلفظ آخر في ستة أدوارٍ، يوحي بأن منهج الله هو منهج العمل التدريجي ، وإذا كان الله رغم تمتعه بكل القوى والطاقات، يُظهر الأحداث والوقائع على التدريج خلال حقبة الزمن، فينبغي لنا نحن البشر – كذلك – أن نتجنب التسرع والاستعجال، ونحاول تحصيل النتائج المطلوبة عن طرق الجهد الصبور الدائب.

وعملية الدعوة عملية صبرٍ من بدايتها حتى النهاية ، حيث إنها تفرض أن يتحمل الداعي كل ما يواجهه من قبل الآخرين من الأذى والتجارب المريرة برحابة صدر،

وأن يواصل نشاطه على طول الطريق، وهذا العمل بما فيه من جهدٍ ومشقةٍ، وما يتطلب من تصبير دائم للنفس، لن يقوى على القيام به والاستمرار فيه إلا الذي يقضي ليله ونهاره مشغولاً بالذكر والعبادة، والذي يتلقى من ربه ما لا يجده من البشر، والذي لا يتمكن منه الشعور بالخيبة والحرمان أبداً حتى لو فقد كل شيءٍ !!

وقوله : ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ تعبير ضمني يتناول بالتصحيح ما ورد في التوراة الحالية المحرفة من أن الله قد أكمل خلق السماوات والأرض في ستة أيامٍ ، ثم استراح بعد ذلك في اليوم السابع! (انظر سفر التكوين : الإصحاحين الأول والثاني)، إنما يستريح مَنْ يشعر بالتعب، وبما أن الله - سبحانه وتعالى - لا يمسه شيء من التعب أو اللغوب أو الإرهاق، لا يحتاج إلى الاستراحة أو الاستجمام البتة !

﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾

يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ: نفخة البعث.

تَشَقَّقُ الأَرْضُ: تنفلق وتتصدع.

سِرَاعاً: مسرعين إلى الداعي.

ليس لقيام الساعة موعد معين ، وإنما يصدر الله - عز وجل - أمره في أي وقتٍ شاء إلى "إسرافيل" الذي ينفخ في الصور إيذاناً بقيامها فجأةً !

والغافلون عن الله يرون القيامة أمراً بعيداً وربما يستبعدون وقوعها ، وأما المؤمن الصادق الإيمان فلا يزال في كل لحظةٍ في توجس وحذر وارتقاب : متى يُنفخ في الصور

فيفاجأ بمجيء الساعة الرهيبة ؟! وبعد أن ينفخ في الصور سوف تبدل الأرض غير الأرض والسماوات، ويُحشر الناس كلهم في عالمٍ جديدٍ، حيث ينال الكل جزاءه الأبدي بحسب عمله!.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

بِجَبَّارٍ: بمسلط تجبرهم على الإيمان.

لقد ورد في القرآن الكريم عن رسول الله - ﷺ- مراراً وتكراراً ما معناه أن عملك الأساسي - أيها الرسول - إنما ينحصر في البلاغ وحده ، وليس المطلوب منك أن تقوم بتغيير الناس بالفعل ، ومن جانبٍ آخر أكد القرآن كذلك - في أكثر من موضعٍ - على أن الله - عز وجل - قد بعث رسوله بدين الحق لكي يظهره على كل الأديان سواه!!

obeikandl.com